موقف هود بن محكم الهواري من آيات العقيدة في تفسيره "اليوم الآخر أنموذجاً"

د. كمال عبد العال تمام عبدالعال
أستاذ مشارك -قسم أصول الدين - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية
kabdelaal@kfu.edu.sa

ملخص البحث:

يعنى هذا البحث بتتبع موقف هود بن محكم الهواري من آيات اليوم الآخر من خلال تفسيره " تفسير كتاب الله العزيز"، إذ أنه قد ضمنه آراء فرقته الإباضية، وانتصر لها في كثير مما يتعلق بمباحث اليوم الآخر.

ويهدف البحث إلى المساهمة في بيان أوجه مخالفة هود بن محكم لعقيدة أهل السنة والجماعة في كثير من آرائه العقدية المتعلقة باليوم الآخر. وقد اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء النصوص القرآنية الخاصة باليوم الآخر في تفسير هود بن محكم، وعرض أقواله وآرائه فيها. والاعتماد على المنهج النقدي الذي يقوم على نقد آراء هود بن محكم العقدية في باب اليوم الآخر. وقد أظهر البحث أن هود بن محكم في موقفه من آيات العقيدة المتعلقة باليوم الآخر لم يكن إباضياً خالصا؛ إذ إنه انتصر لفرقته، ووافقها في بعض المسائل العقدية، وخالفها في بعضها. ويوصي البحث بتتبع آيات العقيدة في تفاسير المدارس العقدية المخالفة لأهل السنة؛ وعقد المقارنات بينها وبين عقيدة السلف.

الكلمات المفتاحية: اليوم الآخر، هود بن محكم الهواري، الشفاعة، الصراط، الميزان -الرؤية.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠١/٢٩م
تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٢/١٦م
تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٠٤/٣٠م

هذه المقالة عبارة عن مقالة ذات وصول مفتوح وموزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص Creative Commons Attribution (CC BY-NC): https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الإحالة: عبدالعال ، د. كمال عبد العال تمام عبدالعال، ٢٠٢٥، موقف هود بن محكم الهواري من آيات العقيدة في تفسيره "اليوم الآخر أنموذجاً"، مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية (علميَّة - دوريَّة – محكَّمة) ١٢-٤٧، ص ص ١-٣٩ .

Hud bin Muhkam's position on the doctrine Ayats in his interpretation: The Day of Judgement as a model

Dr. Kamal Abdel'al Tamam Abdel'al

Associate Professor, Department of Religion Foundations, Faculty of Sharia and Islamic Studies, King Faisal University, Saudi Arabia

Received (date): 29/01/2025

Accepted (date): 16/02/2025

Published (date): 30/02/2025

Abstract:

This article aims to trace Hud bin Muhkam's position on the doctrine Ayats in his interpretation. The study highlights the aspects of Hud bin Muhkam's disagreement with the doctrine of the Sunnis in many of his doctrinal opinions. The study employs the inductive approach by inducting the Qur'anic texts related to the Day of Judgement Muhkam's interpretation, presenting his statements and opinions therein. It also employs the critical approach, criticizing his doctrinal opinions on this Day. The study concludes that Hud bin Muhakam in his position was not a pure Ibadhi. He rather supported his group, agreeing with it in some doctrinal issues, and disagreeing in others. It recommends following the doctrine Ayats in his interpretation of the doctrinal schools that are opposed to the Sunnis.

Keywords: The Day of Judgement, Hud bin Muhakam, intercession, Sirat, balance, vision.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر، وبما فيه من مشاهد جزء من عقيدة المسلمين، وركن من أركان إيمانهم، بل هو الركن الخامس من أركان الإيمان.

وقد ضلت في مشاهد اليوم الآخر أفهام، وزاغت فيه أفكار، وسقطت فرق بإنكارها لبعض مشاهد يوم القيامة، وانحرفت معتقدات عن الحق والهدى بالإنكار الصريح، أو النفي المطلق، أو بالتأويلات الباطلة التي لم تستند إلى دليل من القرآن الكريم، والسنة النبوية. ولذا فقد اهتم المفسرون بالآيات القرآنية التي تتحدث عن اليوم الآخر فبينوا معانيها، وأوضحوا مقتضاها، وأزالوا اللبس عن مفهومها.

بيد أن المفسرين في تفسيرهم لآيات العقيدة غلب عليهم مذهبهم العقدي، وانتماؤهم الفكري؛ فراحوا يفسرونها بما يوافق رأي مدرستهم العقدية التي ينتمون إليها غير مبالين بالصواب من عدمه، أو بالهدى والحق، أو الضلال والزيغ. المهم هو الانتصار لفرقتهم، وإظهار رأيها العقدي في هذه المسألة، وغيرها .

ومن هنا ظهرت تفاسير تمثل فرقة بعينها، وتستعرض رأيها العقدي في أبواب العقيدة؛ بل وترد على الفرق الأخرى التي تخالف رأيها، فتفسير "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ينتصر لآراء المعتزلة، و"التفسير الكبير" للرازي (ت: ٦٠٦هـ) يؤيد عقيدة الأشاعرة، وتفسير " تأويلات أهل السنة " لأبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) يظهر من خلاله العقيدة الماتريدية.

ومن بين هؤلاء الرجال مفسر من الإباضية عاش في القرن الثالث الهجري، وخلف كتابا في التفسير أسماه" " تفسير كتاب الله العزيز" ضمنه آراء فرقته الإباضية، وانتصر لها في معظم أبواب العقيدة.

فقد اكتسب تفسير هود بن محكم مكانة كبيرة عند الإباضية؛ بل هو من أهم التفاسير عندهم؛ إذ إنه انتصر لمذهبهم في العقائد فتأوَّل الأسماء والصفات، وأنكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ورد شفاعة النبي -ﷺ-في أصحاب الكبائر من أمته، وذهب إلى القول بخلق القرآن، وغيرها من مسائل الاعتقاد التي أثبتها على مذهب الإباضية.

وقد اهتم الإباضيون بتفسير هود بن محكم لأنه لا يوجد لديهم تفسيرٌ كاملٌ لكتاب الله قبل تفسير هود الهواري، بجانب غزارة مادته العلمية، وكثرة فوائده بالنسبة لهم.

ولمكانة هذا التفسير عند أصحابه، وتضمنه عقائد الإباضية، والانتصار لها، عمدت إلى دراسة آيات العقيدة الخاصة باليوم الآخر في تفسير هود بن محكم الهواري، دراسة نقدية في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة. فجاء عنوان بحثي:

" موقف هود بن محكم الهواري من آيات العقيدة في تفسيره - اليوم الآخر أنموذجاً"

أسباب اختيار الموضوع:

إن من أهم أسباب اختياري هذا البحث ما يلي:

١-معرفة الرأي العقدي لهود بن محكم في آيات العقيدة المتعلقة باليوم الآخر.

٢-الوقوف على مدى تأثر هود بن محكم بالإباضية وغيرها من أهل الكلام في آرائه العقدية. وبيان تأثر كثير من المفسرين بمذاهبهم العقدية في تفاسيرهم، ومخالفتهم لمذهب أهل السنة والجماعة.

٤-نقد آراء هود بن محكم الهواري العقدية المتعلقة باليوم الآخر من خلال تفسيره، وبيان العقيدة الصحيحة فيها.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

١-المساهمة في كشف النقاب عن عقيدة المفسر هود بن محكم، وحرصه على إبرازها في تفسيره والانتصار لها.

٢-بيان أراء هود بن محكم الهواري العقدية المتعلقة باليوم الآخر، وبيان مدى موافقته، أو مخالفته لآراء الإباضية العقدية في هذا الباب.

٣-نقد أراء هود بن محكم الهواري وفرقته الإباضية في إنكارهم للنصوص الصريحة المتعلقة بمسائل اليوم الآخر، أو تأويلها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة على السؤال الرئيس الآتي: ما موقف هود بن محكم الهواري العقدي من آيات اليوم الآخر؟ ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

-ما موقف هود بن محكم من الشفاعة؟

-وهل أثبت هود بن محكم الميزان الحسي المادي؟

-وما موقفه من الصراط؟ ومن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة؛ هل وافق فيها عقيدة الإباضية، أم عقيدة أهل السنة والجماعة؟

حدود البحث:

تقتصـــر حـدود البحث على بيان موقف هود بن محكم الهواري من الآيات القرآنية المتعلقة باليوم الآخر، والتأصـيل العلمي لهذا الموقف من خلال عرض تفسـيره للآيات، وبيان رأيه العقدي فيما يتعلق بمسـائل اليوم الآخر، ثم عقد المقارنة باسـتعراض رأي أهل السـنة والجماعة في تلك المسائل.

الدراسات السابقة:

يمكن القول إنه بناء على اطلاعي لم أجد دراسـة تناولت نقد موقف هود بن محكم من اليوم الآخر، وما ذكر من دراسات حول تفسير هود بن محكم ، جاء على ضربين :

أحدهما: دراسة منهجه في التفسير.

والثاني: التعرض للمسـائل العقدية في تفسـيره بالدراسـة، أو التركيز على مسـألة التأويل عند الإباضية فيما يخص العقيدة.

ومن تلك الرسائل:

١-المسـائل العقدية في تفسـير كتاب الله العزيز للشـيخ هود بن محكم الهواري الإباضي دراسـة ونقد، للباحث عايد منصور عايد، وهي رسالة ماجستير من جامعة الأزهر ، ٢٠٠٩م.

٢-"مسـألة خلق القرآن عند الإباضـية المعاصـرة". للباحثة مشـاعل باقاسـي، بحث منشـور في مجلة العلوم التربوية والدراسـات الإنسـانية، المجلد السـابع ، العدد الثامن عشـر، عام ٢٠٢١م. ركزت على بيان موقف الإباضية كفرقة من خلق القرآن، ولم تتعرض إلى اليوم الآخر.

٣-يوجد أيضا دراسـة بعنوان منهج هود بن محكم الهواري في تفسـيره ، للباحثة سـعاد زغيشي، دكتوراه ، جامعة الحاج الخضر بالجزائر، عام ٢٠٠٧م.

٤-منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره دراسة ونقد، سامي محمود أحمد ، ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة ، ٢٠٠٢م ، تناول فيه منهجه في تفسير آيات العقيدة ، واليوم الآخر بإيجاز

كما توجد في قاعدة بيانات دار المنظومة ثماني دراسات وبحوث متنوعة حوله.

أما بحثي هذا فينفرد بالتركيز على بيان موقف هود بن محكم وفرقته الإباضـية من اليوم الآخر خاصـة من خلال تفسـير كتاب الله العزيز، ونقد ما خالف عقيدة أهل السـنة والجماعة في هذا الباب.

منهج البحث:

انتظمت منهجية البحث على الأسـاس: الاسـتقرائي أولاً، وذلك باسـتقراء النصـوص القرآنية الخاصة باليوم الآخر في تفسير كتاب الله العزيز للمفسر هود بن محكم، وعرض أقواله وآرائه فيها.

ثم المنهج النقدي الذي يقوم على نقد آراء هود بن محكم العقدية في باب اليوم الآخر، وبيان وجه مخالفتها لعقيدة أهل السنة والجماعة؛ وذلك:

١-جمع مادة البحث من مصادرها الأصلية، مع توثيق نسبة كل قول لقائله.

٢-عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، وذكر اسم السورة، ورقم الآية، وكذلك عنيت بتخريج الأحاديث الواردة خلال البحث.

٣-راعيت في ترتيب مباحث البحث الاتزان في الكم، وما خرج عن هذه السمة إنما فرضته طبيعة المادة العلمية.

٤-ذكرت تاريخ الوفاة للأعلام المذكورين في صلب البحث.

خطة البحث:

احتوى البحث على مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أسباب اختياري لهذا للموضوع، ومشكلته وحدوده وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: التعريف بهود بن محكم وتفسيره. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نشأته وحياته.

المطلب الثاني: تفسيره.

المبحث الثاني: موقف هود بن محكم من آيات الشفاعة في الآخرة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الرأي العقدي لهود بن محكم في الشفاعة في الآخرة.

المطلب الثاني: نقد موقف هود بن محكم الهواري من الشفاعة في الآخرة.

المبحث الثالث: موقف هود بن محكم من آيات الميزان في الآخرة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الرأي العقدي لهود بن محكم في الميزان الأخروي.

المطلب الثاني: نقد موقف الإباضية من الميزان في الآخرة.

المبحث الرابع: موقف هود بن محكم الهواري من الصراط في الآخرة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الرأي العقدي لهود بن محكم في الصراط.

المطلب الثاني: موقف أهل السنة من الصراط في الآخرة.

المبحث الخامس: موقف هود بن محكم من آيات رؤية الله تعالى في الآخرة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الرأي العقدي لهود بن محكم في رؤية الله تعالى في الآخرة.

المطلب الثاني: نقد موقف هود بن محكم الهواري من رؤية الله تعالى في الآخرة.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم نتائج البحث.

الفهارس: وذكرت فيها فهرس المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

المبحث الأول: التعريف بهود بن محكم وتفسيره:

المطلب الأول: نشأته وحياته:

يعد هود بن محكم الهواري من أقدم مفسري كتاب الله -تعالى -في المغرب الأوسط؛ حيث عاش هود بن محكم في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وقد نشأ، وتعلم بتيهرت [١] فقد كان أبوه قاضياً، من أكابر علماء الإباضية في وقته. ولي قضاء تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب ابن رستم (ت: ٢٤٠ هـ). وقيل: كان إماما كبيرا مقدما على أهل عصره في الفقه وغيره، كريم الأخلاق، حسن السيرة. [٢]

ينتسب هود بن محكم إلى قبيلة هوّارة التي كانت تقطن بطون منها جبال " أوراس" وما يجاورها في الشمال الإفريقي، أي الجزائر حاليا.

ولم تحدد المصادر الإباضية العام الذي ولد فيه هود بن محكم؟ وأما ما ذكر أنه في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث الهجري فقد كان تقديراً من أنصار الإباضية، وليس جزما بذلك. [٣]

كذلك لم يدون كتَّاب السير والمؤرخين من الإباضية وغيرهم عن هود بن محكم إلا معلومات يسيرة، وردت عرضا، فلا حياته مفصلة في كتبهم، ولا آثاره معروفة عندهم؛ بل يكرر هذه الأخبار اليسيرة خلف عن سلف، وينقلها كاتب عن آخر من غير أن تستند إلى رواية مفصلة، أو شاهد عيان عاش في عصر هود بن محكم. [٤]

فمصادر الإباضية لم تفصل شيئا عن شيوخ هود بن محكم، بل لم تذكر معلومة واحدة عن شيوخه ولا تلاميذه، ولا على يد من تفقه، يقول بلحاج شريفي: " أما عن نسبه في الدين وشيوخه الذين جلس إليهم، وأخذ عنهم فليس لدينا أي علم بأسمائهم إذا استثنينا أباه محكماً. وكذلك الأمر بالنسبة لتلاميذه الذين تلقوا عنه العلم، أو تربُّوا على يديه؛ لأن المصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى شيء من ذلك. [٥]

ويظهر من هذا أنه تلقى العلم على يد أبيه محكم القاضي، يقول علي يحيى معمر: " ولد لمحكم ولد سماه هودا، رباه على الإسلام، وأنشأه على تقوى الله، ودربه على المعارف الإسلامية منذ صغره، فاستمر في الدراسة حتى أصبح علما من الأعلام." [٦]

ويتصور بلحاج شريفي طريقة تعلم هود بن محكم بناء على طرق التعلم التي ذكرت أوصافها في كتب الإباضـية؛ فيقول: " والذي يبدو لنا أنه يكون قد أخذ العلم أولاً في مراتع طفولته، ومرابع صـباه عن والده، بعد حفظه لكتاب الله، وأنه قد تفقه في مجالس العلم، وحلقات الدروس التي كانت تعقد بالمساجد في القرى الجبلية، أو في البوادي، أو حتى في المغارات إذا اختل الأمن، واضطربت الأمور." (٧)

ومما يدل على أن ما ذكر من أخبار عن حياة هود بن محكم قائم على التصورات، وليس معلومات يقينية ما ذكره أحد علماء الإباضية بقوله:" إن المصادر لا تفصل لنا شيئاً من هذا عندما تتحدث عن الشيخ هود، ولكننا نتصوره على طريقة التعلم التي نقرأ أوصافها في كتب سير الإباضية.(٨)

وبناء على هذا يقرر البحث أن المصادر الإباضية لم تهتم بنقل الأخبار الوافية عن حياة هود بن محكم، بل اكتفت بذكر أقل القليل عن حياته رغم أنه صاحب تفسير معروف.

ولعل هذا يرجع إلى ظاهرة بارزة في تاريخ الإباضية العلمي وهي قلة نتاجهم العلمي ومؤلفاتهم. فقلة تأليفهم ليس مقصورا على العصر الحديث فحسب، بل وجدت في القديم أيضا، ومن ثم ندرت الأخبار عن هود بن محكم.

المطلب الثاني: تفسيره:

اشتهر تفسير هود بن محكم عند الإباضية؛ إذ إنه يعد التفسير الثاني عند الإباضية بعد تفسير عبد الرحمن بن رستم، بيد أن هذا التفسير قد ضاع، ولم يبق عند الإباضية إلا تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم.

وقد كان تفسير هود بن محكم معروفا لدى علماء الإباضية في القديم؛ فقد أشارت إليه المصادر الإباضية(٩) المتقدمة مثل أبي زكرياء (ت: ٤٧١هـ) في سيره (١٠)، والدرجيني (ت: ٦٧٠هـ) (١١) في طبقاته، وذكره البرادي (ت: ٨١٠ هـ-) في جواهره حيث قال : " ومن تأليف أصحابنا أهل المغرب التفسير الذي لهود بن محكم الهواري في سفرين كبيرين" (١٢) وامتدحه الشماخي في سيره فقال: " ومنهم هود بن محكم الهواري ... وهو عالم متفنن غائص ، وهو صاحب التفسير المعروف ، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب ، بل على طريقة المتقدمين "(١٣).

وقد اعتمد هود بن محكم على تفسير ابن سلام (ت: ٢٠٠هـ) اعتمادا كليا، بل يعد تفسير هود مختصرا لتفسير ابن سلام. وهذا ما ذكره المحقق الإباضي بقوله:" أستطيع أن أقول بدون تردد إن الشيخ هوداً الهواري اعتمد اعتمادا كثيرا، إن لم أقل اعتمادا كليا على تفسير ابن سلام البصري. ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنوانا غير الذي وجدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا: تفسير

الشيخ هود الهواري (مختصر تفسير ابن سلام البصري)؛ لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري ما في ذلك شك." (١٤)

ونظرا للاختلاف العقدي بين ابن سلام الذي التزم بآراء السلف من الصحابة والتابعين في تفسيره ما يتعلق بمسائل العقيدة، وبين هود بن محكم إباضي العقيدة والملتزم بها، والمدافع عنها؛ فقد قام هود بن محكم بتعقب آراء ابن سلام العقدية واستبدلها بآراء الإباضية العقدية مثل مسألة الإيمان والكفر، ومسألة تعريف الإيمان وعلاقة العمل به، ومسألة الشفاعة والصراط، ورؤية المؤمنين لربهم في الآخرة وغيرها.

ولم يكتف هود بن محكم ببيان عقيدة الإباضية من خلال تفسيره؛ بل تعميقا لعقيدته الإباضية قام بتأويل النصوص وفق ما تملي عليه عقيدته الإباضية. فأوَّل صفة الاستواء والمجيء، وصفة اليد، والعين، والوجه، وقال بخلق القرآن.

المبحث الثاني: الانحراف العقدي في آيات الشفاعة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الرأي العقدي لهود بن محكم في الشفاعة في الآخرة:

يظهر موقف هود بن محكم من الشفاعة من خلال تفسيره لآيات الشفاعة الواردة في القرآن الكريم، ومنها:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] فسر هود بن محكم الآية الكريمة فقال: " قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُ ﴾ أي: عند الله ﴿ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٣] أي: لا يشفع الشافعون، إلا للمؤمنين، أي: تشفع الملائكة والنبيُّون، والمؤمنون، ليس يعني أنهم يشفعون للمشركين فلا يشفَّعون.

وحديث الحسن بن دينار عن الحسن قال: " أهل الكبائر لا شفاعة لهم." . قال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٨] وقال في آية أخرى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦] أي: شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون، أي: وقلوبهم مخلصة بشهادة ألا إله إلا الله، يعلمون أنها الحق ويعملون بما يعلمون، وليس الشفاعة لهم من معنى قد وجب عليهم، فلا، لا، إلا لتخفيف بعض أهوال الموقف. قال: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] من الملائكة والنبيين، أي: إن المنافقين لا يشفعون لهم، إنما يشفعون لمن ارتضى الله لهم، وهم المؤمنون." (١٥)

وهنا أبان هود بن محكم عن موقفه من الشفاعة حيث أنكر شفاعة الشافعين في أهل الكبائر؛ بل جعل المستفيدين من الشفاعة هم المؤمنون دون غيرهم.

ولا غرو فإن تفسير هود بن محكم لآية الشفاعة استند فيه على رأي فرقته التي ينتمي إليها في مسألة الشفاعة، فقد جعلت الإباضية الشفاعة خاصة بالمؤمنين المطيعين. فهي -عندهم -حق للمؤمنين الذين رضي الله عملهم قال جميل السعدي:" قال أصحابنا -رحمهم الله : الشفاعةحق لا تكذيب فيها، ولكنها للمؤمنين المطيعين، دون أهل الكبائر من العاصين والفاسقين." (١٦)

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦]

ويؤكد هود بن محكم في هذا الآية على معتقده في الشفاعة أنها للمؤمنين ــ-لا لأهل الكبائر ــ- زيادة في أجرهم، ورفعاً لدرجاتهم فيقول: " ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ أي : لا تنفع شفاعتهم المشركين والمنافقين شيئاً ، إنما يشفعون للمؤمنين ولا يشفعون ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ . هو كقوله: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] وكقوله : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ : ٢٣]، وكقوله : ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] أي : قال لا إله إلا الله ، وعمل بفرائض الله ." (١٧)

فقد اشترط هود بن محكم لمن تناله الشفاعة أن يكون مؤمناً عاملاً بالفرائض، مات على ذلك، دون أن يصيب كبيرة من كبائر الذنوب.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:١٢٣]

ولا يفتأ هود بن محكم يؤكد على معتقد فرقته الإباضية أنه لا ينتفع بالشفاعة إلا المؤمنون فحسب، أما أهل الكبائر فلا شفاعة لهم؛ لأن الله أوعدهم النار. يقول هود بن محكم: "﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ أي لا يشفع لها أحد عند الله، لأنه لا تكون الشفاعة إلا للمؤمنين خاصة." (١٨)

ولعل إصرار هود بن محكم على التزامه في تفسير جميع آيات الشفاعة بأنها للمؤمنين فقط، وعدم نيل أهل الكبائر لها تأكيدا على تمسكه بآراء فرقته، وانتصاراً لها. وسيراً على الأصول التي أثبتتها الإباضية في موقفها من مسألة الشفاعة، ومنها:

١-أن الشفاعة ثابتة، ولكن في حق للمؤمنين المطيعين التائبين كما قال جابر بن زيد : " الشفاعة حق؛ فمن كذب بها فقد كذب بالقرآن؛ لأن الله -تعالى ــ-أخبر في كتابه أن أهل الكبائر يخلدون ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٣]، وقال : ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا

بِغَآئِبِينَ ﴾ [الانفطار : ١٣]، فمن زعم أن الشـفاعة لأهل الكبائر ؛ فقد زعم أنهم في الجنة ، وأن جميع الأمة في الجنة ." (١٩)

٢- الشـفاعة زيادة في الثواب، وتشـريف المنازل. قال جميل سـعدي:" فإن قال قائل: إن المؤمنين قد وعدهم الله في كتابه الجنة، فما حاجتهم إلى الشـفاعة؟ قيل له: إن الشـفاعة زيادة في الثواب، وتشريف المنازل." (٢٠)

٣- ومن أصـولهم في مسـألة الشـفاعة أن شـفاعة النبي لا تكون لمن مات مصـرًا غير تائب، إنما الشـفاعة لمن مات على صـغيرة، أو مات وقد نسـي ذنبًا أن يتوب منه، أو لزيادة درجة في الجنة، أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة. (٢١)

٤-تعتقد الإباضية أن من قال إن الشفاعة لأهل الكبائر فقد قال بخلاف ما جاء في القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [غافر : ١٨] (٢٢)وقال جابر بن زيد:" والله ما لأهل الكبائر شفاعة؛ لأن الله أوعد أهل الكبائر النار في كتابه." (٢٣)

٥- ومن أصولهم في مسألة الشفاعة أنها تكون في المحشر، قبل دخول أهل النار النار، لا يصل إليها نبي مرسل، ولا ملك مقرب حتى يفتحها رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، وهي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى . (٢٤)

ملاحظات: يلاحظ بعد اسـتعراض تفسـير هود بن محكم لآيات الشـفاعة، وإصـراره على أن الشفاعة للمؤمنين المطيعين، ما يلي:

أولاً: أن هود بن محكم أنكر شـفاعة النبي -صـلى الله عليه وسـلم -لأهل الكبائر من أمته، ولم ينكر بقية شـفاعاته مثل شـفاعته في دخول أهل الجنة الجنة، وشـفاعته للمؤمنين في رفع درجاتهم في الجنة، وزيادة ثوابهم.

ثانياً: أن انحراف هود بن محكم وفرقته في الشـفاعة لأهل الكبائر يرجع إلى أصـل أصـلوه في الحكم على مرتكب الكبيرة، وهو اعتبار كفره وخروجه من الإسـلام، فكيف يدخل الجنة؟ وكيف يخرج من النار أصلا؟ بل يخلد في النار أبدا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ):" وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها، وعند هؤلاء ما ثم إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب." (٢٥)

ثالثاً: القول بإن الشـفاعة يوم القيامة تكون للمسـتحقين للثواب وتأثيرها في أن تحصـل زيادة من المنافع على قدر ما اسـتحقوه، ومنع إسـقاطها لعقوبة العاصـي. لم يكن قول هود بن محكم وحده؛ بل شاركه فيه الخوارج والمعتزلة، والزيدية. (٢٦)

المطلب الثاني: نقد موقف هود بن محكم الهواري من الشفاعة في الآخرة.

يظهر من استقراء رأي هود بن محكم في الشفاعة اعتماده الرئيس على الآيات التي نفت الشفاعة، ومن ثم فلا ينال العصاة يوم القيامة نصيباً منها؛ بل هي خاصة برفعة درجات المؤمنين في الجنة.

وقد رد أبوالحسن الأشعري(ت: ٣٢٤هـ) على زعم هود بن محكم وفرقته بأن الشفاعة خاصة بالمؤمنين فقال: يقال لهم: قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة، فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين للكبائر، أم للمؤمنين المخلصين؟

فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين للكبائر وافقوا.

وإن قالوا: للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها.

قيل لهم: فإذا كانوا موعودين بالجنة وبها مبشرين، والله تعالى لا يخلف وعده فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم ألا يدخلهم الله جناته؟ .....، وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحقه عقابا أن يوضع عنه عقابه." (٢٧)

ولا ريب أن احتجاج هود بن محكم بهذه الآيات في غير محله؛ لأن الشفاعة المنفية في هذه الآيات هي الشفاعة في أهل الشرك فهم الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين -أما عصاة المسلمين فتنفعهم الشفاعة بشروطها وقد تواترت الأحاديث بهذا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)- : " واحتج بكثير منه -أي آيات الشفاعة المنفية في القرآن -الخوارج والمعتزلة على منع الشفاعة لأهل الكبائر؛ إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب، أو أن يخرج من النار من يدخلها، ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب. ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان." (٢٨)

قال ابن أبي العز الحنفي(٧٩٢هـ): " وقد تواترت بهذا النوع ـ-شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها ـ-الأحاديث. وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلا منهم بصحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته." (٢٩)

وقد تعقب العلماء رأي هود بن محكم وفرقته الإباضية بالتفنيد والإبطال، وردوا استدلالهم بالفهم الصحيح للآيات القرآنية كما فهمها الصحابة والتابعون لهم بإحسان. كما يلي:

أولاً: أما استدلال هود بن محكم بقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:١٢٣] فقد أجاب عليه العلماء بوجوه، منها:

الأول: أن الأخبار متظاهرة بأن من كان من العصاة المذنبين الموحدين من أمم النبيين هم الذين تنالهم شفاعة الشافعين من الملائكة، والنبيين، والشهداء، والصالحين.

الثاني: أن الشـفاعة إنما تنفع المؤمنين دون الكافرين. وقد أجمع المفسـرون على أن المراد بقوله تعالى" واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شـيئا ولا يقبل منها شـفاعة" النفس الكافرة لا كل نفس [٣٠]. قال ابن كثير: "ولا يقبل منها شفاعة" يعني من الكافرين. " [٣١]

الثالث: قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): "ونحن وإن قلنا بعموم العذاب لكل ظالم عاص فلا نقول: إنهم مخلدون فيها؛ بدليل الأخبار التي رويناها، وبدليل قوله ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَـآءُ ﴾[النسـاء: ٤٨] وقولـه" إنـه لا ييـأس من روح الله إلا القوم الكـافرون" [يوسـف: ٨٧]. [٣٢]

ثانياً: أما استدلال هود بن محكم بقوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَـآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦]، وقوله: ﴿ وَلَا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فقد تعقبه المفسرون بالبيان والإيضاح بعدة وجوه:

الأول: قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) : "إن قالوا: فقد قال تعالى ﴿ وَلَا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ والفاسق غير مرتضى. قلنا: لم يقل لمن لا يرضى وإنما قال" لمن ارتضى " ومن ارتضاه الله للشفاعة هم الموحدون بدليل قوله" لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا. " [مريم ٨٧] [٣٣]

الثاني: قوله تعالى﴿ وَلَا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ قال ابن عباس: لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: إلا لمن رضي الله عنه. [٣٤]

الثالث: قال أبو الحسـن الأشـعري (ت: ٣٢٤هـ): "إلا لمن ارتضى لمن يشـفعون له، وقد روي أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن المذنبين يخرجون من النار". [٣٥]

أوضح ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) أن أحاديث الشـفاعة صـريحة في خروج أهل الكبائر من النار، فقال:" قد دلت السـنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله"، وأحاديث الشـفاعة صـريحة في خروج عصـاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم." [٣٦] وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن الشفاعة في " أهل الكبائر " من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وهل يدخلون الجنة أم لا؟ .

فأجاب: إن أحاديث الشفاعة في " أهل الكبائر " ثابتة متواترة عن النبي -صلى الله عليه وسلم -، وقد اتفق عليها السلف من الصحابة، وتابعيهم بإحسان، وأئمة المسلمين؛ وإنما نازع في ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم. ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ بل كلهم يخرجون من النار، ويدخلون الجنة، ويبقى في الجنة فضل. فينشئ الله لها خلقا آخر يدخلهم الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم. [٣٧]

الرابع : ويرى الرازي (ت: ٦٠٦هـ) أن هذه الآية من أقوى الدلائل في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، وتقريره: هو أن من قال لا إله إلا الله فقد ارتضاه تعالى في ذلك، ومتى صدق عليه أنه ارتضاه الله تعالى في ذلك فقد صدق عليه أنه ارتضاه الله؛ لأن المركب متى صدق فقد صدق لا محالة كل واحد من أجزائه، وإذا ثبت أن الله قد ارتضاه وجب اندراجه تحت هذه الآية فثبت بالتقرير الذي ذكرناه أن هذه الآية من أقوى الدلائل لنا على ما قرره ابن عباس رضي الله عنهما. (٣٨)

ثالثاً: أما استدلال هود بن محكم بقوله تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] وقوله تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] فقد رده العلماء بوجوه:

الأول: أوضحت الآية الكريمة أنه لا شفاعة لأحد يوم القيامة." إلا من شهد بالحق" يعني المؤمنين إذا أذن لهم. قال ابن عباس:" إلا من شهد بالحق" أي شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

الثاني: قال القرطبي: " وقيل: أي لا يملك هؤلاء العابدون من دون الله أن يشفع لهم أحد إلا من شهد بالحق، فإن من شهد بالحق يشفع له، ولا يشفع لمشرك." (٣٩)

الثالث: أما قوله تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ فقد ذهب الرازي (ت: ٦٠٦هـ) إلى أن مفهوم هذه الآية دليل على ثبوت الشفاعة للفساق، وأن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين. (٤٠)

وجواب أهل السنة أن هذا يراد به شيئان: **أحدهما**: أنها لا تنفع المشركين كما قال تعالى في نعتهم: ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر : ٣١-٤٨] فهؤلاء نفي عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارا.

والثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع: من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع الناس بعضهم عند بعض؛ فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة. (٤١)

المبحث الثاني موقف هود بن محكم الهواري من آيات الميزان في الآخرة:

المطلب الأول: الرأي العقدي لهود بن محكم في الميزان الأخروي:

ما حقيقة الميزان عند الإباضية؟ وكيف يكون الميزان والوزن عندهم؟ وهل هو ميزان حقيقيّ كالذي يزن به البشر في الدنيا، أم ميزان معنوي؟ وإذا كان ماديّا محسوساً؛ فهل يترتب على ذلك أنَّ الأعمال الموزونة تنقلب إلى أجسام ماديّة أيضا؟

نفت الإباضية حقيقة الميزان الثابت في الكتاب والسنة، وتأولوا الآيات التي ذكر فيها ميزان الأعمال، ولم يتطرقوا للأحاديث الصحيحة التي تثبت، وتبين هيئة الميزان، وأن له عمود وكفتان. قال السالمي الإباضي: " لا أقول مثل قول المخالف حيث صار يقول كان الميزان كفتين وعمودا." (٤٢)

ويرى الإباضية أن الوزن ليس هو بميزان مادي وإنَّما هو ميزان معنوي وهو الحق والقسط، فإنَّ الخبر هو نفس المخبر عنه، والبدل هو عين المُبدل منه، ولذلك لا يكون المِيزَانِ مِيزَانًا مَاديا له عمود وكفتان. (٤٣)، وقد تأولت الإباضية الميزان بعدة معان، منها:

١-السَّعادة والشقاوة، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣] قال السالمي: " ونحن نقول إن هذه الموازين المذكورة عبارة عن معنى السعادة والشقاوة، فثقل الميزان كناية عن السعادة، وخفته كناية عن الشقاوة." (٤٤)

٢-الحق والإنصاف والعدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، يرى الإباضية أن القسط بدل من الموازين لا نعت له كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] وقالوا: إنما عدلنا في تفسير الميزان عن حقيقته المشهورة الى ما ذكرناه من العدل والإنصاف لأن حمله على حقيقته المشهورة محال. (٤٥)

قال عبد الله القنوبي: " ذهب أصحابنا إلى أن الوزن هو الحق والإنصاف والعدل، والدليل على ذلك آية الأعراف قال تعالى: ﴿ٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨] ، وقوله تعالى :﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] أي موازين العدل. (٤٦)

٣-فصل وتمييز للأعمال والنيات، فالمقصود بالميزان عندهم أن الله تعالى يميز بين الخير والشر، والحسن والقبيح من الأعمال، قال الجيطالي: " وعند علمائنا -رحمهم الله ـ-أن الميزان معناه فصل وتمييز للأعمال والنيات، قال الله تعالى: ﴿ٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾. (٤٧) ويري بعض الإباضية أن الميزانَ كناية عن فرز الأعمال، وتمييز خيرها وشرها، وبَيَانِ مقبولها وَمَرْدُودِهَا، فإنَّ الله تعالى هو العليمُ بكل شيْءٍ، ولم يكن في حاجة إلى ميزان حقيقي لبيان الصالحات والسيئات، وإنَّما يَعْرِضُ على عبادِهِ يومَ القيامة ما قَدَّمُوا وما أَخَّرُوا، وما أخلصوا فيه لله وما أرادوا به غير وَجْهِه، فتَقُومُ الحُجَّةُ على الْمُسِيءِ بِإساءته، ويَنْعَمُ الْمحسن بنعمة القبول من الله.(٤٨)

وقد بررت الإباضية نفيها لحقيقة الميزان بمجموعة من القواعد الكلية:

القاعدة الأولى: الميزان في القرآن يعبر عن الحق والعدل والقسط. ﴿ٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ

مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

القاعدة الثانية: أن الله تعالى عالم بكل شيء ولا يحتاج إلى ميزان مادي ليعرف الشقي من السعيد. يقول تعالى {وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة : ٨]

القاعدة الثالثة: أن الأعمال ليست أجساماً ذات أوزان وإنما هي أعراض لا وزن لها. (٤٩)

فلهذا فإن الحساب الأخروي في الفكر الإباضي هو عبارة عن عرض الأعمال للإنسان، وليس هو عدّ أرقام وأوزان كما يفعل البشر.(٥٠)

فما موقف هود بن محكم من الميزان؟ هل أثبت ميزانا حسيا ماديا؟ أم أثبت ميزانا معنويا؟ هل تابع فرقته في موقفها من الميزان؟ هل تأول الآيات التي تثبت الميزان في القرآن الكريم؟

لم ينكر هود بن محكم الميزان؛ بل أثبت وزن الأعمال من حسنات وسيئات فقال في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٨] بلغنا أن المؤمن توزن حسناته وسيئاته، فمنهم من تفضل حسناته على سيئاته ، وإن لم تفضل إلا حسنة واحدة يضاعفها الله له فيدخله الجنة : وهو قوله : ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] ، ومنهم من تستوي حسناته وسيئاته ، وهم أصحاب الأعراف ، ومنهم من تفضل سيئاته على حسناته . قال الله : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢-١٠٣] (٥١)

وأورد حديثا يفهم منه أنه يقول بالميزان الحسي لا المعنوي فقال: "ذكر الحسن أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله ، هل يذكر الرجل حميمه يوم القيامة ؟ فقال : ثلاثة مواطن لا يذكر الرجل فيها حميمه : عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا يجوز، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ صحيفته أم بشماله." (٥٢)

ويستخدم في تفسيره لقوله تعالى (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا) ألفاظ الزيادة والنقصان التي تستعمل غالبا مع الميزان مما يدل على أنه يقول بوزن الأعمال وزنا حقيقيا فقال:" قوله عز وجل (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا) أي : لا ينقص المؤمن من حسناته، ولا يزاد عليه من سيئات غيره ، ولا يزاد على الكافر سيئات غيره، ولا يجازى في الآخرة بحسنة قد استوفاها في الدنيا." (٥٣)

ويقر هود بن محكم بالموازين المادية التي تثقل بالأعمال الصالحة، وتخف بالأعمال القبيحة فيقول في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [القارعة : ٦] وهو المؤمن ، فإنما تثقل

بالعمل الصالح. ﴿أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ﴾ [القارعة : ٨] وهو المشرك والمنافق. وإنما تخف الموازين بالعمل السيئ." (٥٤)

ومما يؤكد أن هود بن محكم لم يقل بالميزان المعنوي ، ولم يتأوله بالعدل والحق تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ أي وزن ذره (﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي : وزن ذرة (شَرًّا يَرَهُۥ) أي: يراه في ميزانه فيسوءه ذلك. (٥٥)

فهذا صريح في أنه أراد حقيقة الميزان الثابت في الكتاب والسنة ، لا الميزان المعنوي الذي أولته فرقته . لأنه عبر بالفعل يراه الذي يدل على الحس والمشاهدة للميزان فقال: " يراه في ميزانه فيسوءه ذلك".

ملاحظات: من خلال ما سبق بيانه عن موقف هود بن محكم وفرقته من الميزان يمكن تسجيل الملاحظتين الآتيتين:

الأولى : يلاحظ أن كلام هود بن محكم فيه دلالة على إثبات الميزان ، ولكن يؤخذ عليه أنه لم يذكر الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم ـــ-التي تثبت ميزانا يزن أعمال العباد يوم القيامة، وتبين كيفيته بوجود لسان له وكفتين توضع فيهما الحسنات والسيئات.

الثانية: أن موقف هود بن محكم من الميزان لم يتابع فيه رأي فرقته، فإن كانت الإباضية قد تأولت الميزان بالحق والعدل والقسط؛ فإن هود بن محكم أورد في تفسيره لآيات الميزان ما يدل على إثباته للميزان الحسي كما في حديث عائشة -رضي الله عنها ـــ-. بل صرح في تفسيرة بذلك في سورة الزلزلة.

المطلب الثاني: نقد موقف الإباضية من الميزان في الآخرة:

اشتد نكير أهل السنة على الإباضية في انكارهم الميزان، وتأويله بالعدل؛ وذلك لأن السنة دلت على أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.(٥٦)

وقد رد العلماء تأويل الإباضية الميزان باالعدل بعدة وجوه:

الأول: حمل القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تأويل الميزان بالعدل على المجاز، وليس على الحقيقة، لأن الشائع في اللغة ، وجاءت به السنة أنه ميزان حقيقي محسوس، فقال: "وهذا القول مجاز، وليس بشيء وإن كان شائعاً في اللغة للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفتين ولسان." (٥٧)

الثاني: تأويل الميزان بالعدل إن كان سائغا من جهة اللغة فقد جاءت الأحاديث مبينة صفته بأن له كفتان ؛ فيجب قبوله ، وعدم صرفه إلى معنى آخر، ولا يسع المؤمن غير الإيمان به، والتسليم بقبوله. قال الأزهري(ت: ٣٧٠هـ): "هذا كله في باب اللغة، والاحتجاج سائغ، إلا أن الأولى من هذا أن

يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة، فينبغي أن يقبل ذلك." (٥٨)

الثالث: أنكر القرطبي تأويل الميزان بالعدل لما يترتب عليه من تأويل كل حقائق الآخرة من صراط، وجنة، ونار، وملائكة، وهذا فاسد. قال القرطبي: " قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد؛ لأنه رد لما جاء به الصادق." (٥٩)

الرابع: رفض شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) تأويل الميزان بالعدل؛ لأنه غيره ، وبالميزان يبين العدل كموازين الدنيا. فقد سئل -رحمه الله -: عن الميزان، هل هو عبارة عن العدل؟ أم له كفتان؟

فأجاب: " الميزان " هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى{ ۦمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ} { وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ } وقوله: {وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ } . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم} " {وقال عن ساقي عبد الله بن مسعود: لهما في الميزان أثقل من أحد} وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة وصححه الترمذي والحاكم وغيرهما: {في الرجل الذي يؤتى به فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيوضع في كفة ويؤتى له ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله. قال النبي صلى الله عليه وسلم فطاشت السجلات وثقلت البطاقة} . وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس فهو ما به تبين العدل. والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا. وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب. (٦٠)

الخامس: أرجع الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) تأويل الميزان بالعدل إلى الاستبعادات العقلية فحسب فقال : "وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل المظلم، وقال من شاء كل ما شاء، وتركوا الشرع خلف ظهورهم وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها، ويتحد قبولهم لها، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه، ويوافق ما يذهب إليه هو أو من هو تابع له، فتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم." (٦١)

ثانياً: أما دعواهم أن الله لا يحتاج إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟ أو قولهم: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة، والكثرة والقلة؟ فقد تعقبها العلماء بالرد، والتفنيد، والإبطال من عدة وجوه:

الأول: قيل له في قوله: "وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها": وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه في أمّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الجاثية: ٢٨-٢٩] .

الثاني: وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم.

الثالث: وزن الله أعمال خلقه، بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان، وكتب سيئاته في الكفة الأخرى، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلا وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى، احتجاجًا من الله بذلك على خلقه، كفعله بكثير منهم: من استنطاق أيديهم وأرجلهم، استشهادًا بذلك عليهم، وما أشبه ذلك من حججه.

الرابع: ويُسأل مَن أنكر ذلك فيقال له: إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة، ويخفف موازين آخرين، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك، فما الذي أوجب لك إنكار الميزان أن يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته، الذي يتعارفه الناس؟ أحجة عقل تُبْعِد أن يُنال وجه صحته من جهة العقل؟

الخامس: وليس في وزن الله جل ثناؤه خلقَه وكتبَ أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان، خروجٌ من حكمة، ولا دخول في جور في قضية، فما الذي أحال ذلك عندك من حجةِ عقلٍ أو خبر؟ إذ كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرتُ، ولا سبيل إلى ذلك. وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين، وضوحُ فساد قوله، وصحة ما قاله أهل الحق في ذلك. (٦٢)

المبحث الرابع: موقف هود بن محكم الهواري من الصراط في الآخرة:

المطلب الأول: الرأي العقدي لهود بن محكم في الصراط:

لم يقبل الإباضية المفهوم المادي للصراط باعتباره جسراً ممدوداً على متن جهنم يعبر عليه جميع الخلائق بسرعات متفاوتة حسب أعمالهم. قال الجيطالي:" لم يقل أصحابنا بهذا إنما الصراط المستقيم عندهم طريق الإسلام." (٦٣)

معتقد الإباضية في الصّراط أنه دين الله القيّم الذي افترض الله على عباده، والعدل الذي أنزله. وهو دقيق لا يوافق الملك، ولا الهوى، ولا الشّهوات. ولذلك شبّهوه بحدّ السّيف المرهف، والشّفرة الرّقيقة الدّقيقة، لا يميّزها إلاّ ذو الحجى والنهى والبصيرة النّافذة. (٦٤) قال الخليلي: " الصّراط ليس هو جسرًا على متن جهنم يعَبره السَّالِكون ـــ-كما هو رأي كثير من العلَماء --وإنَّما الصراط هو دين الله الحق الذي تتوقف نجاة كل أحَد على سلوكه بحِذق، وحذر. أما ما جاء في الروايات من أن الصراطَ جِسر على مَتنِ جهنمَ يعبره الناس، وأنه أحد من السيف، وأن الناس يَتفاوتون في عبورِه؛ منهم من يَعبُرُه كالبَرقِ، ومنهم كالرِّيحِ، ومنهم كالفارِسِ، ومنهم كالماشي، ومنهم من يَهوي بهم في النَّارِ؛ فما هو إلَّا تمثيلٌ لتفاوُتِ النَّاسِ في اتِّباعِ الدِّينِ؛ فمنهم الحاذِقُ الماهِرُ الذي لا يُفرِّطُ في شيءٍ منه، ومنهم من هو دونَ ذلك، ومنهم من تُرْدِيه شَهَواتُه في جهنَّمَ." (٦٥)

فالصراط في عقيدة الإباضية هو تعبير مجازي عن الدين الحنيف وشريعة الإسلام الخالدة التي تمثل الطريق المستقيم، والمؤمنون آمنون يوم القيامة من الخوف والفزع، فلا يقبل توهم عبورهم على جسر يخشون فيه الوقوع في النار كأنهم متشككون في وعد الله تعالى بدخول الجنة. (٦٦)

وقد وجد من الإباضية من فسر الصراط بالمعنى المادي المحسوس لا بالمعنى المعنوي مخالفا لرأي فرقته في بيان المراد بالصراط؛ فقد ذهب الجيطالي إلى أن الصراط جسم ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس بحسب تفاوت أعمالهم في الدنيا ، خلافا لجمهور الإباضية ، فقال: " ولا أدري قول الله تعالى ﴿صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] ، أهي القناطر السبع المذكورة في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] (٦٧)

وبناء على ذلك يبدو أن هناك رأيين للإباضية في موقفها من الصراط، أحدهما يؤول الصراط بالدين الحق ، والآخر يثبت الصراط بالمعنى المادي المحسوس. فما موقف هود بن محكم؟ هل تابع رأي أغلبية الإباضية في تأويلهم الصراط بالدين الحق؟ أم أثبت ما أثبته محقق الإباضية " الجيطالي" بأنه جسر ممدود على ظهر جهنم يعبر عليه الخلائق؟ إن استقراء تفسير هود بن محكم وتتبع تفسيره للآيات التي ذكر فيها الصراط الأخروي يبن بوضوح

موقفه العقدي من الصـراط. فقد أقر هود بن محكَّم الهواري أن الصـراط يفسـر بمعناه المادي الحسـي لا المعنوي فذكر عند تفسـيره قوله تعالى ﴿ وَنَادَوْاْ أَصْـحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَـلَـٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٦] قال بعضـهم: يميل بهم الصـراط مرة إلى الجنة ومرة إلى النار، ثم يدخلون الجنة. (٦٨)

وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشـورى: ٣٠] " ومنهم من تبقى عليه منها -أي سـيئات -فيشـدد عليه عند الصـراط حتى يلقى الله وقد غفر له ذنوبه كلها. (٦٩)

ومما يدل على إثبات هود بن محكم الصراط أنه أورد أحاديث مرفوعة وموقوفة تثبت الصراط بالمعنى الحسي لا المعنوي كما فعلت فرقته الإباضية. فقد أورد عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]حديثا يستدل به على الصراط فقال: "ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة مواطن لا يعرف فيهن أحد أحداً: عند الميزان، حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الكتب، حتى يعلم أبيمينه يأخذ كتابه أم بشماله، وعند الصراط، حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز." (٧٠)

وأورد هود بن محكم عند تفسـيره لقوله تعالى: ﴿إِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِـيًّا ﴾ [مريم: ٧١]جملة من الأحاديث التي تثبت أن المراد بالورود في الآية المرور على الصـراط ، منها:

١-ذكروا عن ابن مسـعود أنه قال في تفسـيرها:" الصـراط على جهنم مثل حد سـيف، والملائكة معهم كلاليب من حديد، كلما وقع رجل منهم اختطفوه. قال: فيمر الصـنف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجود الخيل، والرابع كأجود البهائم. والملائكة يقولون: اللهم سلّم سلّم." (٧١)

٢-ذكر بعضـهم قال: "يضـرب الصـراط على جهنم كحدِّ السـيف، دحض مزلّة فيمرون عليه كالبرق وكالريح، وكانقضـاض الطير، وكجواد الخيل، وكجواد الرجال، والملائكة بجنبي الصـراط معهم خطاطيف كشـوك السـعدان، فناج سـالم، ومخدوش ناج، ومكدوس في النار، والملائكة يقولون: ربّ سلّم سلّم." (٧٢)

٣-ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: "يضرب الصراط على جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم: أولهم كلمع البرق، وكمر الريح، وكمر الطير، ثم كأسرع البهائم، ثم يمر الرجل سعياً، ثم يمر الرجل مشـياً، وتزل قدم وتسـتمسـك أخرى. قال عبد الله بن مسـعود: حتى يكون آخرهم رجل يتلبّط على بطنه فيقول: يا رب، لم أبطأت بي، فيقول: لم أبطئ بك، وإنما أبطأ بك عملك." (٧٣) وقال بعضـهم:" بلغنا أن الصراط ثلاث عواقب." (٧٤)

٤-ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أعطى كل إنسان مؤمن ومنافق نوراً، وتغشى ظلمة معهم المنافقين على جسر جهنم، فيه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله. ثم يطفأ نور المنافقين وينجو نور المؤمنين. وينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء أضاء. ثم كذلك حتى ينجو آخر زمرة. (٧٥)

ويثبت هود بن محكم الصراط إثباتا صريحا بأنه جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الخلائق ويعطى كل واحد منهم نورا على حسب عمله في الدنيا. فيذكر الحوار الذي يدور بين المنافقين والمؤمنين عند الصراط ، فيقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾[الحديد : ١٣] "أهل التضييع والخيانة من أهل الإقرار { لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ } وهم على الصراط، يقولون للمؤمنين إذا طَفِيءَ نورُهم: { ٱنظُرُونَا } [أي: انتظرونا] { نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ }. وذلك أنه يعطى كل مؤمن، وكل منافق نوراً على الصراط، فيطفأ نور المنافقين ويبقى نور المؤمنين، فيقول المنافقون للمؤمنين: { ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ } ويَحْسَبون أنه قبس كقبس الدنيا إذا طفئت نار أحدهم اقتبس. فقال لهم المؤمنون: وقد عرفوا أنهم منافقون { ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ} أي إلى الدنيا {فَٱلْتَمِسُواْ نُوراً} أي: فمن ثَمَّ يكسب الإيمان الذي هو نور. فرجعوا وراءهم فلم يجدوا شيئاً. فهنالك أدركتهم خدعة الله. وخدعة الله إياهم قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. (٧٦)

ويثبت هود بن محكم أن مجاوزة الصراط تكون على قدر أعمالهم الصالحة في الدنيا، فقال:" بلغنا أن النور الذي يعطى المؤمنون على قدر أعمالهم فيجوزون الصراط على قدر أعمالهم كالبرق وكالريح وكجواد الخيل وكجواد البهائم. ويسعى الرجل سعياً، ويمشي مشياً، وتزل قدم، وتستمسك أخرى، ولا يجاوز نور أحدهم قدميه. وبعضهم يزحف زحفاً، وبعضهم يتلبّط على بطنه." (٧٧)

ملاحظات: ومما سبق يتبين لنا :

أولاً: أن الصراط بهذا المفهوم الذي ذكره هود بن محكم هو نفسه ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) في قوله: " والصراط منصوب على متن جهنم. وهو الجسر الذي بين الجنة والنار.يمر الناس عليه على قدر أعمالهم: فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط؛ دخل الجنة. (٧٨) وبهذا يتضح أن هود بن محكم لم يكن إباضي العقيدة في حديثه عن الصراط ؛ لأنه خالف فرقته

مخالفة صريحة في عدم إثبات الصراط المعنوي لا الحسي كما فعلت الإباضية. وقال بما قال به أهل السنة من إثبات الصراط الحسي الممد على ظهر جهنم لمرور الخلائق عليه إلى الجنة.

ثانياً: وقد برجع إثبات هود بن محكم للصراط إلى النزعة التي غلبت على الفكر الإباضي في القرون الثلاثة الأول ؛ إذ أنهم قد سلكوا مسلك إثبات ما أثبتته نصوص القرآن والسنة من غير تأويل لها، ولا تحريف، و لم يخوضوا فيما لم تذكره هذه النصوص. ومن ثم سلك هود بن محكم مسلكهم في النصوص، وأثبت ما أثبته القرآن والسنة. إلا أن نزعة التأويل والتحريف قد بدأت في إحكام قبضتها على الإباضية بعد هذه القرون ، وظهر التأثر بعقائد المعتزلة واضحا في جل أبواب العقيدة.

المطلب الثاني: موقف أهل السنة من الصراط في الآخرة:

مذهب أهل السنة في الصراط أنه جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر، وأحدُّ من السيف يمر عليه الناس كلهم؛ فالمؤمنون ينجُون على حسب أعمالهم ومنازلهم، والآخرون يسقطون فيها. (٧٩)

نقل أبو اليسر البزدوي (ت: ٤٩٣هـ) مذهب أهل السنة في الصراط، فقال : "قال أهل السنة والجماعة: إن الصراط حق، وهو جِسر على جهنم يجوز عليه الخلق، إلَا أن بعضهم يقعون في النار، وبعضهم يمرون فيدخلون الجنة، وفي كيفيته أحاديث، والقول به أصل واجب." (٨٠) ويؤكد الطحاوي(ت: ٣٢١ه) عقيدة أهل السنة في الصراط فيقول: " ونؤمن بالبعث، وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض، والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب، والصراط، والميزان." (٨١)

وقد اتفقت كلمة أهل السنة على إثبات الصراط على ظاهره من كونه جسرًا ممدودًا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر. قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤ه) وقوله: " ثم يضرب الصراط على ظهرانى جهنَّم " وفيه صحة أمر الصراط والإيمان به، والسلف مجمعون على حمله على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته." (٨٢)

نقل النووي (ت: ٦٧٦ه) إجماع السلف على إثبات الصراط بالمعني المادي المحسوس لا المعنوي كما زعمت الإباضية، فقال:" مذهب أهل الحق إثباته -أي الصراط -وقد أجمع السلف على إثباته." (٨٣)

وذكر أبوالحسن الأشعري(ت: ٣٢٤ه) إجماع أهل السنة والجماعة على ذلك، فقال: "وأجمعوا على أن الصراطَ جسرٌ ممدود على جهنم، يجوز عليه العبادُ بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك".(٨٤)، ويظهر من قول أهل السنة في الصراط ما يلي :

١-أن الله سبحانه يمد الصراط جسراً على شفير جهنم للجواز عليه.

٢-أن الصراط أرق من الشعر، وأحد من السيف، على ما صحت به الأخبار، وثبتت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣-يجوز العباد الصراط بقدر أعمالهم، ويخف ويضعف جوازه بقدر طاعتهم ومعاصيهم.

٤- ذكر الله تعالى الصراط في غير موضع من كتابه، وتواترت الأخبار فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يلحق الناس عليه من الأهوال: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (الزمر: ٦١) (٨٥)

وقد فسر أهل السنة الورود الوارد في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. بالمرور على الصراط، وقد ذكر هذا غير واحد من علماء أهل السنة.

وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، وكعب الأحبار، والسدي، وقاله الحسن أيضا: "ليس الورود الدخول إنما تقول: وردت البصرة ولم أدخلها. قال: فالورود أن يمروا على الصراط." (٨٦)

قال ابن جرير (ت:٣١٠هـ): "قال ابن زيد، في قوله ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١] ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين أن يدخلوها." (٨٧)

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) أن الورود المذكور في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح -رواه مسلم في صحيحه -عن جابر: {بأنه المرور على الصراط}،والصراط هو الجسر؛ فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة من كان صغيرا في الدنيا ومن لم يكن. (٨٨)

وأوضح ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) أن المفسرين اختلفوا في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ - ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: {ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا}. وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة"، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ ؟ فقال: ألم تسمعيه قال: { ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا } . أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه، ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم. ولهذا قال تعالى: {ولما جاء أمرنا نجينا هودا}. {فلما جاء أمرنا نجينا صالحا} . و{ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا}. ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك.

وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا. فقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث جابر المذكور: أن الورود هو الورود على الصراط. (٨٩)

المبحث الخامس: موقف هود بن محكم من آيات رؤية الله تعالى في الآخرة:

المطلب الأول: الرأي العقدي لهود بن محكم في رؤية الله تعالى في الآخرة.

ذهبت الإباضية إلى استحالة رؤية الله في الدنيا والآخرة، لأنها لا تعقل إلا في جسم، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض.(٩٠)

قال الخليلي: " الله سبحانه منزه عن رؤية الأَبصار له،لأَنَّه لا يشْبِهُ شيئًا ولا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، فَوُجُودُهُ لَيْسَ كَوُجُودِ مَا سِوَاهُ، فَهُوَ مُنَزَّه عَن التَّحَيُّزِ فِي مَكَانٍ، وَعَنْ وَصْفِهِ بِالأَلْوَانِ، والرُّؤْيَةُ لا تَقَعُ إِلا عَلَى مُتَحَيِّزٍ." (٩١)

ويعلل الإباضية إنكارهم للرؤية بأنهم لا يجدون شيئا مرئيا إلا في إحدى الجهات الست، ولا يخلو أن يكون جنسا، أو في مكان أو مقابلة، لأنا لم نجد مرئيا إلا على هذه. وقد قام الدليل على نفي هذه الجهات والأماكن عن الله تعالى، إذ لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا، لأن هذه كلها مخلوقات، ولن تصح رؤيته. (٩٢)

وقد بالغت الإباضية في إنكارهم للرؤية حتى إنهم اعتبروا إثباتها كفراً وضلالاً فقالوا :" إن الله يرى بالأبصار يوم القيامة؛ فهذا قول لا يجوز على الله -سبحانه - وهو كفر وضلال من قائله؛ لأن الله -سبحانه وتعالى -نفى عن نفسه الرؤية، بآية محكمة غير متشابهة، ولا متصرفة في المعاني، وهو قوله -عز وجل ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ١٠٣] (٩٣)

ولهذا أسرفت الإباضية في تأويل الآيات البينة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، من أجل عدم ثبوتها، وإنكارها.وهذا هو الاتجاه السائد عند الإباضية في موقفهم من رؤية الله تعالى في الآخرة.

فهل وافق هود بن محكم فرقته في موقفها، وانتصر لعقيدتها في الرؤية من خلال تفسيره؟ أم خالف رأيها، وأثبت رؤية الله تعالى في الآخرة؟

يتضح من تفسير هود بن محكم للآيات التي ذكرت فيها رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة أنه يوافق مذهب فرقته الإباضية موافقة تامة؛ ويظهر موقفه من الرؤية من خلال محورين:

المحور الأول: نفي الرؤية وعدم إثباتها، إذ إن هود بن محكم ينفيها نفيا صريحا، ولا يثبتها. فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [سورة الأعراف ١٤٣] قال:" أي إن الجبل لا يستقرّ مكانه، وكذلك لا تراني لأني لا تدركني الأبصار، وأنا أدرك الأبصار." (٩٤)

وينقل هود بن محكم ما يؤكد نفيه لرؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، فيقول : "وحدثني مسلم الواسطي قال: سمعت أبا صالح يقول في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[سورة القيامة: ٢٢،٢٣]قال: تنتظر الثواب من ربها. قال أبو صالح: ما رآه أحد ولا يراه أحد(٩٥).

المحور الثاني: التأويل، فقد نهج هود بن محكم منهج فرقته في تأويلها لآيات الرؤية؛ إذ إنه صرف معنى الرؤية والنظر الوارد في الآيات إلى معنيين:

أحدهما: مضاعفة الحسنات، فهود بن محكم لا يفسر كلمة "الزيادة" الواردة في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ١٤٣] بالرؤية؛ بل يفسرها بمضاعفة الحسنة، فيقول: "قوله تعالى { ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ } أي الجنة. { وَزِيَادَةٌ } يعني الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف." (٩٦)

الثاني: انتظار الثواب، فقد تأول هود بن محكم نظر المؤمنين إلى ربهم يوم القيامة بانتظار الثواب، لا بالرؤية البصرية، فيقول في تفسير قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[سورة القيامة: ٢٢-٢٣] " أي: ناعمة { إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } أي: تنتظر الثواب، وهي وجوه المؤمنين." (٩٧)

ويؤكد رأيه في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [سورة المطففين:١٥] أي: عن ثواب ربهم لمحرومون(٩٨).

وما ذهب إليه هود بن محمد من تأويل للرؤية بانتظار الثواب تأكيدٌ لرأي فرقته في تأويل رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة بانتظار الثواب.

ويبدو أن هود بن محكم متأثر برأي المعتزلة الذين أنكروا رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة. (٩٩)

المطلب الثاني: نقد موقف هود بن محكم من رؤية الله تعالى في الآخرة:

أوضح النووي (ت: ٦٧٦هـ) أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين. وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١٠٠)

ولهذا تعقب العلماء إنكار هود بن محكم رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة بالنقد والتفنيد؛ إذ إن هذه الآراء الفاسدة تتعارض مع نصوص القرآن الكريم البينة، ونصوص السنة النبوية الثابتة. ومن ثم فقد رد العلماء تفسير هود بن محكم لآيات الرؤية، كما يتضح فيما يلي:

أولا: أما نفيه للرؤية في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ [سورة الأعراف ١٤٣] ، فقد رده العلماء من وجوه:

الأول: أن الرؤية المنفية في هذا الآية الرؤية في الدنيا لا في الآخرة، ف (قَالَ لَن تَرَىٰنِي) أي في الدنيا. وقال ابن عباس:" لا تدركه الأبصـــار" في الدنيا، ويراه المؤمنون في الآخرة، لإخبار الله بها في قوله:" ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾. وقال الســـدي. وهو أحســـن ما قيل لدلالة التنزيل والأخبار الواردة برؤية الله في الجنة.(١٠١)

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "لا تدركه في الدنيا، وإن كانت تراه في الآخرة، كما تواترت به الأخبار، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير ما طريق ثابت، في الصحاح والمسانيد والسنن."(١٠٢)

الثاني: المراد بقوله: (لَن تَرَىٰنِي) تأبيد النفي في الدنيا مع وقوع الرؤيا في الآخرة، قال ابن كثير: "قيل إنها لنفي التأبيد في الدنيا جمعا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤيا في الدار الآخرة.(١٠٣)

فضلاً على أن (لن) لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: {ولن يتمنوه أبدا}، مع قوله: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾ (سورة الزخرف:٧٧). ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ ﴾ [سورة يوسف: ٨٠]. فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد.(١٠٤)

الثالث: أن الآية الكريمة دليل على ثبوت الرؤية من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله، ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته - أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦](١٠٥)

الثالث: من الوجوه المســتنبطة من هذه الآية الدالة على أنه تعالى جائز الرؤية وذلك لأنه تعالى لو كان مســتحيل الرؤية لقال: لا أرى فلما قال تعالى: لن تراني ولم يقل لا أرى علمنا أن هذا يدل على أنه تعالى في ذاته جائز الرؤية.(١٠٦)

الرابع: يرى الرازي (ت: ٦٠٦هـ) أن من الوجوه المســتنبطة من هذه الآية أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز، والمعلق على الجائز جائز؛ فيلزم كون الرؤية في نفسها جائزة. إنما قلنا: إنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز لأنه تعالى علق رؤيته على اســتقرار الجبل بدليل قوله تعالى: فإن اســتقر مكانه فسـوف تراني واسـتقرار الجبل أمر جائز الوجود في نفسـه فثبت أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز الوجود في نفسه. إذا ثبت هذا وجب أن تكون رؤيته جائزة الوجود في نفسها.(١٠٧)

الخامس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السادس: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة؛ فرؤيته أولى بالجواز. ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه.(١٠٨)

ثانيًا: أما تأويله كلمة "الزيادة" الواردة في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (سورة يونس ٢٦) بمضاعفة الحسنة ، فقد ذكر المفسرون أن المراد من لفظ (وزيادة) النظر إلى الله سبحانه وتعالى، قال القرطبي (ت:٦٧١هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس ٢٦]:" روي من حديث أنس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى:" وَزِيَادَةٌ" قال: (للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم)، وهو قول أبي بكر الصديق ،وعلي بن أبي طالب في رواية. وحذيفة، وعبادة بن الصامت، وكعب بن عجرة، وأبي موسى، وصهيب، وابن عباس في رواية، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب." (١٠٩)

والدليل عليه النقل والعقل. **أما النقل**: فالحديث الصحيح الوارد فيه، وهو أن الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى الله سبحانه وتعالى.

وأما العقل: فهو أن الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف، فانصرف إلى المعهود السابق، وهو دار السلام والمعروف من المسلمين والمتقرر بين أهل الإسلام من هذه اللفظة هو الجنة، وما فيها من المنافع والتعظيم. وإذا ثبت هذا، وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما في الجنة من المنافع والتعظيم، وإلا لزم التكرار وكل من قال بذلك قال: إنما هي رؤية الله تعالى فدل ذلك على أن المراد من هذه الزيادة: الرؤية.

ومما يؤكد هذا وجهان:

الأول: أنه تعالى قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[سورة القيامة: ٢٢ــ٢٣] فأثبت لأهل الجنة أمرين: أحدهما: نضرة الوجوه والثاني: النظر إلى الله تعالى، وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى هاهنا على نضرة الوجوه، وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى.

الثاني: أنه تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠] أثبت له النعيم، ورؤية الملك الكبير، فوجب هاهنا حمل الحسنى والزيادة على هذين الأمرين.(١١٠)

ثالثًا: أما تأويله قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[سورة القيامة: ٢٢ــ٢٣] بانتظار الثواب، فقد رده العلماء بعدة وجوه:

الأول: أن تأويل "ناظرة" بانتظار الثواب قول ضعيف، ويتعارض مع ظاهر الآيات والأخبار، قال القرطبي: " وهذا القول ضعيف جدا، خارج عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار."[١١١]

الثاني: بين الأزهري أن تأويل (نَاظِرَةٌ) بانتظار الثواب خطأ؛ لأنه لا يقال نظر إلى كذا بمعنى الانتظار، وإن قول القائل:

نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين، كذلك تقوله العرب، لأنهم يقولون نظرت إليه: إذا أرادوا نظر العين، فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرته.

الثالث: ثبوت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها.[١١٢] ذكر ابن كثير جملة من الأحاديث التي تنص على رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة منها:

١-حديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين "أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك."[١١٣]

٢-وفي الصحيحين عن جرير قال:" نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر! فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا."[١١٤]

الرابع: أن رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام، ومن تأول ذلك بأن المراد " ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[سورة القيامة: ٢٣] " قال: تنتظر الثواب من ربها، فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٥][١١٥]

رابعًا: أما تفسيره لقوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٥] أي: عن ثواب ربهم لمحرومون، فترك للظاهر من غير دليل، قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون. وقال جل ثناؤه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣ - ٢٢] فأعلم الله جل ثناؤه أن المؤمنين ينظرون إليه، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه."[١١٦]

ثم الذي يؤكد أن المراد الرؤية أقوال المفسرين. قال مقاتل: معنى الآية أنهم بعد العرض والحساب، لا يرون ربهم، والمؤمنون يرون ربهم، وقال الكلبي: يقول إنهم عن النظر إلى رؤية ربهم

لمحجوبون، والمؤمن لا يحجب عن رؤية ربه، وسئل مالك بن أنس عن هذه الآية، فقال: لما حجب أعداءه فلم يروه لا بد وأن يتجلى لأوليائه حتى يروه، وعن الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا.(١١٧)

الخاتمة:

يمكن إبراز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج فيما يلي:

١-أن المصادر الإباضية لم تهتم بنقل الأخبار الوافية عن حياة هود بن محكم، بل اكتفت بذكر أقل القليل عن حياته رغم أنه صاحب تفسير معروف.

٢-كان تفسير هود بن محكم معروفا لدى علماء الإباضية في القديم؛ فقد أشارت إليه المصادر الإباضية المتقدمة.

٣-اعتمد هود بن محكم على تفسير ابن سلام اعتمادا كليا، بل يعد تفسير هود بن محكم مختصرا لتفسير ابن سلام.

٤-أن هود بن محكم في موقفه من آيات العقيدة المتعلقة باليوم الآخر لم يكن إباضياً خالصا؛ إذ إنه انتصر لفرقته، ووافقها في بعض المسائل العقدية، وخالفها في بعضها.

٥-أن هود بن محكم أنكر شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم -لأهل الكبائر من أمته، ولم ينكر بقية شفاعاته. وهود بن محكم وفرقته للشفاعة لأهل الكبائر يرجع إلى أصل أصلوه في الحكم على مرتكب الكبيرة، وهو اعتبار كفره وخروجه من الإسلام، فكيف يدخل الجنة؟

٦-القول بأن الشفاعة يوم القيامة تكون للمستحقين للثواب، ومنع إسقاطها لعقوبة العاصي. لم يكن قول هود بن محكم وحده؛ بل شاركه فيه الخوارج والمعتزلة، والزيدية

٧-أن موقف هود بن محكم من الميزان لم يتابع فيه رأي فرقته، فإن كانت الإباضية قد تأولت الميزان بالحق والعدل والقسط؛ حيث أورد هود بن محكم في تفسيره لآيات الميزان ما يدل على إثباته للميزان الحسي.

٨-أن هود بن محكم لم يكن إباضي العقيدة في حديثه عن الصراط؛ لأنه خالف فرقته مخالفة صريحة في عدم إثبات الصراط المعنوي لا الحسي كما فعلت الإباضية حيث وافق هود بن محكم أهل السنة في موقفه من الصراط فقال بما قال به أهل السنة من إثبات الصراط الحسي الممد على ظهر جهنم لمرور الخلائق عليه إلى الجنة؟

٩-يظهر من تفسير هود بن محكم للآيات التي ذكرت فيها رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة أنه يوافق مذهب فرقته الإباضية موافقة تامة؛ حيث أسرف هود بن محكم في تأويل الآيات البينة في

إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، من أجل عدم ثبوتها، وإنكارها. وهذا هو الاتجاه السائد عند الإباضية في موقفهم من رؤية الله تعالى في الآخرة.

التوصيات:

١-يوصي البحث بتتبع آيات العقيدة في تفاسير المدارس العقدية المخالفة لأهل السنة؛ وعقد المقارنات بينها وبين عقيدة السلف لإظهار الخلل العقدي لدى هذه المذاهب الكلامية.

(١) ينظر: نويهض، معجم المفسرين، (٧١٣/٢)؛ وسزكين، تاريخ التراث العربي (١/ ٩٦).
(٢) ينظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر (ص٣٣٧).
(٣) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، (مقدمة المحقق، ص١٣).
(٤) ينظر: السابق، (ص٧)
(٥) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (مقدمة المحقق، ص١٧).
(٦) ينظر: معمر، الإباضية في موكب التاريخ (٢/ ١٤٣).
(٧) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (مقدمة المحقق، ص١٣).
(٨) ينظر: السابق (ص١٣).
(٩) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (مقدمة المحقق، ص١٣).
(١٠) ينظر: أبو زكرياء، كتاب سير الأئمة وأخبارهم (ص٢٥٩).
(١١) ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب (٣٤٥/٢- ٣٤٦).
(١٢) ينظر: البرادي، الجواهر المنتقاة (ص٢١٩).
(١٣) ينظر: الشماخي، كتاب السير (٥٩/٢).
(١٤) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (مقدمة المحقق، ص٢٤).
(١٥) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (مقدمة المحقق، ص٢٤).
(١٦) ينظر: السعدي، قاموس الشريعة (٥/ ٥٠٦).
(١٧) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٤/ ٢٤٠).
(١٨) ينظر: السابق (ج ١/ ١٤٢).
(١٩) ينظر: السعدي، قاموس الشريعة (ج ٥/ ٥٠٦).
(٢٠) ينظر: السابق (٥٠٧/٥).
(٢١) ينظر: الحارثي العقود الفضية في أصول الإباضية (ص٢٩٣).
(٢٢) ينظر: السعدي، قاموس الشريعة (ج ٥/ ٥٠٦).
(٢٣) ينظر: الحارثي العقود الفضية في أصول الإباضية (ص٢٩٣).
(٢٤) ينظر: السعدي، قاموس الشريعة (ج ٥/ ٥٠٨).
(٢٥) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١/ ١٤٩).
(٢٦) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (ج ٣/ ٤٩٥).
(٢٧) ينظر: الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة (ص ٢٤٤).

(٢٨) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج ١/ ١١٦).
(٢٩) ينظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٦).
(٣٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٧٩).
(٣١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١٥٨/١).
(٣٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج ١، ص٣٧٩).
(٣٣) ينظر: السابق (١/ ٣٧٩).
(٣٤) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢٨٦/٣).
(٣٥) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة (ص ٢٤٤).
(٣٦) ينظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٣١).
(٣٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٠٩/٤).
(٣٨) ينظر: الرازي التفسير الكبير (ج ٢٢/ ١٣٦).
(٣٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ص١٣٢).
(٤٠) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (٣٠/ ص٧١٦).
(٤١) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١/ ص١٤٩).
(٤٢) ينظر: السالمي، مشارق أنوار العقول (١٢٨/٢).
(٤٣) ينظر: الخليلي، شرح غاية المراد (ص ٩٨).
(٤٤) ينظر: السالمي، بهجة الأنوار (ص ٢٣١).
(٤٥) ينظر: السالمي، بهجة الأنوار (٢٣١).
(٤٦) ينظر: الخليلي، شرح غاية المراد (ص ٢٢).
(٤٧) ينظر: الجيطالي، قناطر الخيرات (ص٥٠٤)
(٤٨) ينظر: الخليلي، شرح غاية المراد (ص ٩٧)
(٤٩) ينظر: الخليلي، شرح غاية المراد (ص ٩٧).
(٥٠) ينظر: المحرمي، الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ (ص ٤٩).
(٥١) ينظر: تفسير كتاب الله العزيز (٢/ ٧).
(٥٢) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٣/ ٧٤).
(٥٣) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٣/ ٧٤).
(٥٤) ينظر: السابق (٤/ ٥٢٨).
(٥٥) ينظر: السابق (٤/ ٥٢٥).
(٥٦) ينظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية (٤٧٢).
(٥٧) ينظر: القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، (ص ٧٢٣).
(٥٨) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة (١٣/ ١٧٦).
(٥٩) ينظر: القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧٣٤).
(٦٠) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٠٢/٤).

(٦١) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (٢/٢١٦-٢١٧).
(٦٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٢/ ٣١٢-٣١٤).
(٦٣) ينظر: الجيطالي، قناطر الخيرات (ص ٥٠٤).
(٦٤) ينظر: ، تبغورين ، الأصول العشرة (ص ١٦٢).
(٦٥) ينظر: الخليلي، شرح غاية المراد (١٠٠-١٠١).
(٦٦) ينظر: المحرمي، الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ (ص ٥١).
(٦٧) ينظر: الجيطالي، قناطر الخيرات (٥٠٤).
(٦٨) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٢/ ٢٠).
(٦٩) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٢/ ٣٩٢).
(٧٠) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٢/ ١٩٦).
(٧١)أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب تفسير سورة مريم بسم الله الرحمن الرحيم ، (٢/٤٠٣) ،(ح رقم ٣٤٢٣)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".
(٧٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الأهوال، باب قال الله تعالى، (٤/٦٢٨)، (ح رقم ٨٧٣٨) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".
(٧٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، باب أما حديث أبي عوانة، (٤/٥٤١)،(ح رقم ٨٥١٩)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".
(٧٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها،(١/ ١٧٥) (ح رقم ١٩١)
(٧٥) ينظر: الهواري تفسير كتاب الله العزيز (٤/ ٢٩٣).
(٧٦) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٤/ ٢٩٣).
(٧٧) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٤/ ٣٨٣).
(٧٨) ينظر: ابن تيمية، العقيدة الواسطية (٩٩-١٠٠).
(٧٩) ينظر: النووي المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/٢٠).
(٨٠) ينظر: البزدوي، أصول الدين (١٦٤).
(٨١) ينظر: الطحاوي، العقيدة الطحاوية (٧٢).
(٨٢) ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٥٥٠).
(٨٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٢٠).
(٨٤) ينظر: الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (١٦٣).
(٨٥) ينظر: الداني، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات (١/٢٠٣).
(٨٦) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٢٦).
(٨٧) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٢/ ٣١٢-٣١٤).
(٨٨) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٩).
(٨٩) ينظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية (٤١٥).
(٩٠) ينظر: السالمي، مشارق أنوار العقول (١٩٨).

(٩١) ينظر: الخليلي، شرح غاية المراد (٧٢).
(٩٢) ينظر: الوارجلاني، الدليل والبرهان (٧٥/١).
(٩٣) ينظر: السعدي قاموس الشريعة (٣٧٦/٥).
(٩٤) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٢/ ٤٣).
(٩٥) ينظر: السابق (٤/ ٤٤٤).
(٩٦) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز(٢، ١٩٠).
(٩٧) ينظر: السابق (٤/ ٤٤٥).
(٩٨) ينظر: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز (٤، ٤٨٣).
(٩٩) ينظر: القاضي عبد الجبار، المغني (٤، ١٤٤)، وشرح الأصول الخمسة (٢٣٢).
(١٠٠) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٨/٣).
(١٠١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٧، ص٥٤).
(١٠٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٧٧/٣).
(١٠٣) ينظر: السابق، ٤٢١/٣.
(١٠٤) ينظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية (١٥٧).
(١٠٥) ينظر: السابق (١٥٦-١٥٧).
(١٠٦) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (٣٥٥/١٤).
(١٠٧) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (٣٥٦/١٤).
(١٠٨) ينظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية (١٥٦-١٥٧).
(١٠٩) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨، ٣٣٠).
(١١٠) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (٢٤٠/١٧).
(١١١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٠٨/١٩).
(١١٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٨٧).
(١١٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة)، (١٢٧/٩)، (ح رقم ٧٤٣٩)،ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١٦٣/١)،(ح رقم ١٨٢).
(١١٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ،(٤٣٩/١)،(ح رقم ٦٣٣)
(١١٥) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٨٨).
(١١٦) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٦١).
(١١٧) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (٩٠/٣١).

المراجع والمصادر

١-أبو زكرياء، يحيى بن أبي بكر، تحقيق إسماعيل العربي، (١٤٠٢هـ)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، (ط٢) ، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
٢-الأزهري، محمد بن أحمد، (٢٠٠١م) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١) بيروت، دار إحياء التراث.

٣-الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (١٣٩٧هـ) الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، (ط١)، القاهرة، دار الأنصار.
٤-الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (١٤١٣هـ)، رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق: عبد الله شاكر، (د.ت)، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
٥-البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم، (٢٠١٤م)، الجواهر المنتقاة، (ط١)، لندن، دار الحكمة.
٦-البزدوي أبو اليسر محمد البزدوي، (٢٠٠٣م) أصول الدين، تحقيق: هانز بيتر لنس، (د.ط)، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث.
٧-البغوي، الحسين بن مسعود، (١٤٢٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ط١) بيروت، دار إحياء التراث العربي .
٨-ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، (١٤١٨ هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، (ط١)، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد.
٩-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٩٩٩م) العقيدة الواسطية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، (ط٢)، الرياض، أضواء السلف.
١٠-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٩٩٥م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، (د.ت)، المملكة العربية السعودية طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
١١-ابن كثير، إسماعيل بن عمر(١٤١٩هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٢-تبغورين بن داوود، (٢٠٠٢ م) الأصول العشرة، تحقيق: ونيس عامر، (ط١)، تونس مكتبة الجيل الواعد.
١٣-الجيطالي، إسماعيل بن موسى، (٢٠٠١م)، قناطر الخيرات، تحقيق: سيد كسرو حسن، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٤-الحارثي، سالم بن حميد، (٢٠١٧م) العقود الفضية في أصول الإباضية، (ط٢)، سلطنة عمان ، وزارة التراث والثقافة.
١٥-الخليلي، أحمد بن حمد، (٢٠١٧ م)، شرح غاية المراد، (ط١)، سلطنة عمان، الكلمة الطيبة.
١٦-الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، (٢٠٠٠ م)، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، (ط١)، الكويت، دار الإمام أحمد.
١٧-الدرجيني، أحمد بن سعيد، (١٣٩٤هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، (د.ت) ، الجزائر، مطبعة البليدة.
١٨-الرازي، محمد بن عمر، (١٤٢٠هـ) التفسير الكبير، (ط٣)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
١٩-السالمي، عبدالله بن حميد، (١٩٩١م)، بهجة الأنوار شرح أنوار العقول، (ط٢) ، بيروت، دار الجيل.
٢٠-السالمي، عبدالله بن حميد(١٩٨٩م)، مشارق أنوار العقول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (ط١)، بيروت، دار الجيل.
٢١-سزكين فؤاد، (١٩٩١ م)، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، (د.ط)، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٢-السعدي، جميل بن خميس، (١٩٨٣م)، قاموس الشريعة، (د.ت)، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.
٢٣-الشماخي، أحمد بن سعيد، (١٩٨٧م)، كتاب السير، تحقيق: أحمد السيابي،(د.ت)، سلطنة عمان ،طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.
٢٤-الشوكاني، محمد بن علي، (١٤١٤ هـ) ، فتح القدير(ط١)، بيروت، دار الكلم الطيب.
٢٥-الطبري، محمد بن جرير، (٢٠٠٠ م) ،جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط١)، بيروت مؤسسة الرسالة.
٢٦-الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (١٤١٤ هـ)، العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: ناصر الدين الألباني، (ط٢)، بيروت، المكتب الإسلامي.
٢٧-القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى، (١٩٩٨ م)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إِسْمَاعِيل، (ط١)، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر.
٢٨-القرطبي، محمد بن أحمد، (١٤٢٥ ه)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، (ط١)، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع.
٢٩-القرطبي محمد بن أحمد، (١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني،(ط٢) ، القاهرة، دار الكتب المصرية.
٣٠-القنوبي، عبدالله بن سعيد، (١٤٢٢ه)، شرح غاية المراد، (د.ت) الطريف، مكتبة البدر.
٣١-المحرمي، زكريا بن خليفة، (٢٠٠٤م)، الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، (ط١) ، سلطنة عمان، مكتبة الغبيراء .
٣٢-معمر، علي يحيى، (١٩٩٣م)، الإباضية في موكب التاريخ، (ط٢) سلطنة عمان، مكتبة الضامري.
٣٣-النووي، يحيى بن شرف، (١٣٩٢ه)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط٢) ،بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣٤-نويهض، عادل، (١٩٨٠م) معجم أعلام الجزائر، (ط٢)، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
٣٥-نويهض، عادل، (١٩٨٨م)، معجم المفسرين، (ط٣)، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
٣٦-الهواري، هود بن محكم، (١٩٩٠م) تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق بلحاج سعيد الشريفي، (ط١)، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
٣٧-الوارجلاني، يوسف بن إبراهيم (١٩٨٣م)، الدليل والبرهان، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، (د.ت) عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.

References in Arabic:

1. Abu Zakariya, Yahya ibn Abi Bakr, edited by Ismail al-Arabi (1402 AH), The Book of the Biographies of the Imams and Their Stories, (2nd ed.), Beirut, Dar al-Gharb al-Islami.
2. Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad (2001 AD), The Refinement of the Language, edited by Muhammad Awad Mar'ab, (1st ed.), Beirut, Dar Ihya al-Turath.

3. Al-Ash'ari, Abu al-Hasan Ali ibn Ismail (1397 AH), The Explanation of the Principles of Religion, edited by Fawqiya Hussein Mahmoud, (1st ed.), Cairo, Dar al-Ansar.

4. Al-Ash'ari, Abu al-Hasan Ali ibn Ismail (1413 AH), A Message to the People of the Border, edited by Abdullah Shaker (n.d.), Medina, Deanship of Scientific Research at the Islamic University.

5. Al-Baradi, Abu al-Qasim ibn Ibrahim (2014 AD), Selected Jewels, (1st ed.), London, Dar al-Hikma.

6. Al-Bazdawi, Abu Al-Yusr Muhammad Al-Bazdawi, (2003), Fundamentals of Religion, edited by Hans Peter Lens, (n.d.), Cairo, Al-Azhar Library for Heritage.

7. Al-Baghawi, Al-Hussein ibn Mas'ud, (1420 AH), Milestones in the Interpretation of the Qur'an, edited by Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, (1st ed.), Beirut, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

8. Ibn Abi Al-'Izz Al-Hanafi, Ali ibn Ali ibn Muhammad, (1418 AH), Explanation of the Tahawi Creed, edited by Ahmad Shaker, (1st ed.), Saudi Arabia, Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call, and Guidance.

9. Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd Al-Halim, (1999), The Wasiti Creed, edited by Ashraf ibn Abd Al-Maqsud, (2nd ed.), Riyadh, Adwaa Al-Salaf.

10. Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd al-Halim (1995), Majmu' al-Fatawa, edited by Abd al-Rahman ibn Qasim, (no date), Kingdom of Saudi Arabia, published by the King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an.

11. Ibn Kathir, Ismail ibn Umar (1419 AH), Tafsir al-Qur'an al-Azim, edited by Muhammad Husayn Shams al-Din, (1st ed.), Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

12. Tabghourin ibn Dawud, (2002), The Ten Principles, edited by Wanis Amer, (1st ed.), Tunis, Library of the Promising Generation.

13. al-Jitali, Ismail ibn Musa, (2001), Qanatir al-Khayrat, edited by Sayyid Kasro Hassan, (1st ed.), Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

14. al-Harithi, Salim ibn Hamid, (2017), Silver Contracts in the Principles of Ibadism, (2nd ed.), Sultanate of Oman, Ministry of Heritage and Culture.

15. Al-Khalili, Ahmad bin Hamad (2017), Sharh Ghayat al-Murad (Explanation of the Ultimate Goal), (1st ed.), Sultanate of Oman, Al-Kalima al-Tayyiba.

16. Al-Dani, Abu Amr Uthman bin Saeed (2000), The Comprehensive Epistle to the Sunni School of Thought and Principles of Religion, edited by Daghash bin Shabib al-Ajami (1st ed.), Kuwait, Dar al-Imam Ahmad.

17. Al-Darjini, Ahmad bin Saeed (1394 AH), Classes of Sheikhs in Morocco, edited by Ibrahim Talai (n.d.), Algeria, Blida Press.

18. Al-Razi, Muhammad bin Omar (1420 AH), The Great Commentary (3rd ed.), Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi (Revival of the Arab Heritage)

19. Al-Salimi, Abdullah bin Hamid (1991), Bahjat al-Anwar Sharh Anwar al-Uqul (2nd ed.), Beirut, Dar al-Jeel.

20. Al-Salmi, Abdullah bin Hamid (1989), Mashariq Anwar Al-Uqul, edited by Abdul Rahman Amira, (1st ed.), Beirut, Dar Al-Jeel.

21. Sezgin Fuad (1991), History of Arab Heritage, translated by Mahmoud Fahmy Hijazi, (n.d.), Riyadh, Imam Muhammad bin Saud Islamic University.

22. Al-Saadi, Jamil bin Khamis (1983), Dictionary of Sharia, (n.d.), Sultanate of Oman, Ministry of National Heritage and Culture.

23. Al-Shamakhi, Ahmad bin Saeed (1987), The Book of Biographies, edited by Ahmad Al-Siyabi, (n.d.), Sultanate of Oman, published by the Ministry of National Heritage and Culture.

24. Al-Shawkani, Muhammad bin Ali (1414 AH), Fath Al-Qadir (1st ed.), Beirut, Dar Al-Kalim Al-Tayyib.

25. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir (2000), Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, edited by Ahmad Muhammad Shakir, (1st ed.), Beirut, Al-Risala Foundation.

26. Al-Tahawi, Abu Ja'far Ahmad ibn Muhammad ibn Salamah (1414 AH), Al-Aqida al-Tahawiyya, Explanation and Commentary by Nasir al-Din al-Albani, (2nd ed.), Beirut, Islamic Office.

27. Al-Qadi 'Iyad, Abu al-Fadl 'Iyad ibn Musa (1998 AD), Ikmal al-Mu'allim bi-Fawa'id Muslim, edited by Yahya Ismail, (1st ed.), Egypt, Dar al-Wafa for Printing and Publishing.

28. Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad (1425 AH), At-Tadhkira bi-Ahwal al-Mawta wa-Amr al-Akhira, edited by al-Sadiq ibn Muhammad ibn Ibrahim, (1st ed.), Riyadh, Dar al-Minhaj Library for Publishing and Distribution.

29. Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad (1964), The Compendium of the Rulings of the Qur'an, edited by Ahmad al-Bardouni, (2nd ed.), Cairo, Dar al-Kutub al-Masriya.

30. Al-Qanoubi, Abdullah ibn Sa'id (1422 AH), Explanation of the Ultimate Goal, (no date), al-Tarif, al-Badr Library.

31. Al-Mahrami, Zakariya ibn Khalifa (2004), Ibadism: History, Method, and Principles, (1st ed.), Sultanate of Oman, al-Ghubayra Library.

32. Muammar, Ali Yahya (1993), Ibadism in the Procession of History, (2nd ed.), Sultanate of Oman, al-Dhamri Library.

33. Al-Nawawi, Yahya ibn Sharaf (1392 AH), Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj (2nd ed.), Beirut, Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

34- Noueihed, Adel, (1980), Dictionary of Algerian Notables, (2nd ed.), Beirut, Noueihed Cultural Foundation for Authorship, Translation, and Publishing.

35- Noueihed, Adel, (1988), Dictionary of Interpreters, (3rd ed.), Beirut, Noueihed Cultural Foundation for Authorship, Translation, and Publishing.

36- Al-Hawari, Hood bin Muhakam, (1990), Interpretation of the Noble Book of God, edited by Belhaj Saeed Al-Sharifi, (1st ed.), Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.

37- Al-Warjalani, Youssef bin Ibrahim (1983), Evidence and Proof, edited by Salim bin Hamad Al-Harthi, (n.d.), Oman, Ministry of National Heritage and Culture.